المحاضرة 1: مدخل إلى علم الاجتماع اللغوي

تمهيد

تعد اللغة من أسمى مظاهر الحضارة وحلقة من سلسلة النشاط الإنساني، وتبرز أهميتها فيما تؤديه من دور في حركة الحياة والمجتمع، إذ لا يمكن تصور مجتمع بلا لغة، ولا لغة بلا مجتمع، فلكي توجد اللغة لا بد من مجموعة ناطقة بها، فهي وأيّاً كانت لحظتها، فلا توجد خارج الواقعة الاجتماعية، ولا يتحقق وجودها إلا بفضل نوع من التعاقد بين أعضاء المجموعة الواحدة 1،بدليل أن الإنسان ليس مفصولاً عن العالم الذي يعيش فيه؛ فالإنسان لغة واللغة من كيان الإنسان، فلا إنسانية من دون لغة2.

أولا: مفهوم علم اللغة

علم اللغة، هو العلم الذي يبحث في اللغة، ويتخذها موضوعا له، فيدرسها من النواحي الوصفية، والتاريخية، والمقارنة، كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللغات المختلفة، أو بين مجموعة من هذه اللغات، ويدرس وظائف اللغة وأساليبها المتعددة، وعلاقتها بالنظم الاجتماعية المختلفة.

وموضوع علم اللغة: هو كل النشاط للإنسان في الماضي والحاضر، يستوي في هذا الإنساني البدائي والمتحضر، واللغات الحية والميتة، والقديمة والحديثة، دون اعتبار لصحة أو لحن، أو جودة أو رداءة، أو غير ذلك، واللغة التي يبحث فيها هذا العلم، ليست هي اللغة العربية أو الإنجليزية أو الألمانية، وإنما هي اللغة في ذاتها، ومن أجل ذاتها، هي "اللغة "التي تظهر وتتحقق، في أشكال لغات أخرى كثيرة ولهجات متعددة، وصور مختلفة من صور "الكلام "الإنساني، فمع أن اللغة العربية، تختلف عن الإنجليزية، وهذه تختلف عن الألمانية، فإن هناك أصولا وخصائص جوهرية، تجمع ما بين هذه اللغات، كما تجمع بينها وبين سائر اللغات، وصور الكلام الإنساني، وهو أن كلا منها لغة، أو نظام اجتماعي معين، تتكلمه جماعة معينة، بعد أن تتلقاه عن المجتمع، وتحقق به وظائف معينة، ينتقل من جيل إلى جيل، فيمر بأطوار من التطور، متأثرا في ذلك بسائر النظم الاجتماعية، والسياسية، الاقتصادية، والدينية وغير ذلك.

واللغة نشاط اجتماعي، من حيث إنها استجابة ضرورية، لحاجة الاتصال بين الناس جميعا، ولهذا السبب يتصل علم اللغة اتصالا شديدا، بالعلوم الاجتماعية، وأصبحت بعض بحوثه تدرس في علم الاجتماع، فنشأ لذلك فرع منه يسمى" :علم الاجتماع اللغوي"، يحاول الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، وبين أثر تلك الحياة الاجتماعية في الظواهر اللغوية المختلفة.3

ويقول فندريس" :في أحضان المجتمع تكونت اللغة، ووجدت يوم أحس الناس بالحاجة إلى التفاهم بينهم، وتنشأ من احتكاك بعض الأشخاص، الذين يملكون أعضاء الحواس، ويستعملون في علاقاتهم الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرفاتهم، الإشارة إذا أعوزتهم الكلمة، والنظرة إذا لم تكف الإشارة"

وهكذا يرى "فندريس "أن اللغة تنتج من اللاحتكاك الاجتماعي، ثم تصبح عاملا من أقوى العوامل، التي تربط أفراد المجتمع الإنساني، وهي أداة للتعبير عما يدور في المجتمع، فهي تسجل لنا في دقة ووضوح الصور المختلفة المتعددة الوجوه، لهذا المجتمع، من حضارة ونظم وعقائد، واتجاهات فكرية وثقافية، وعلمية وفنية واقتصادية وغير ذلك.

ثانيا : مفهوم علم الاجتماع اللغوي

هو العلم الذي يعالج الظاهرة اللغوية بطريقة تكشف عن العلاقات التي تربطها بمختلف الظواهر الاجتماعية ، و يُعنى علم الاجتماع اللغوي: بدراسة واستكشاف علاقة المجتمع باللغة بهدف دراسة التداخل القائم بين التنوعات اللغوية المختلفة، وبين بنية مختلف الفئات الاجتماعية؛ أي دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي ودراسة الحياة الاجتماعية من خلال اللغة .فهذه العلاقة تملي علينا تحديد نوع الدراسة التي ينتجها علم الاجتماع اللغوي.

يُعرف برنارد صبولسكي علم الاجتماع اللغوي: على "أنه المجال الذي يدرس العلاقة بين المجتمع واللغة، وبين الاستعمالات المتنوعة للغة والبنى الاجتماعية التي يعيش فيها متحدثو هذه اللغة"5، وهو بهذا التعريف يركز على العلاقة التي تربط اللغة بالمجتمع والعلاقة التي تربط بين مختلف الاستخدامات اللغوية، وبين مختلف الطبقات الاجتماعية المتدرجة ضمن المجموعة اللغوية، وهو إقرار بوجود تباينات وسلوكيات ثقافية واجتماعية ولغوية مختلفة توثر وتتأثر ضمن المجموعة. ويوضح صبولسكي بأن الغاية من الاستخدامات اللغوية هي تحقيق فعل التواصل والترابط بين أفراد هذه المجموعة.

أما **جون لويس كالفي *John Louis Calvi***، فيعرف علم الاجتماع اللغوي: بأنه دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي ويقول: لا مجال للمقارنة بين اللسانيات العامة التي تدرس اللغات وبين علم الاجتماع اللغوي الذي يولي اهتماماً بالغاً للجانب الاجتماعي لهاته اللغات. بعبارة أخرى، إن علم الاجتماع اللغوي هو اللسانيات بعينها. فمن هذا التعريف يمكن تحديد غاية علم الاجتماع اللغوي في دراسة اللغة وفي اكتشاف كيف يمكن للعوامل الاجتماعية والحياة ضمن المجوعة اللغوية أن تحدد جملة التباينات ضمن اللغة

كنظام قائم بذاته وضمن جانبها الاستعمالي من قبل المتكلمين بحسب تباين منابع ثقافاتهم وبحسب مستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية.

كما يعرفه جوشوا فيشمان بأنه ذلك: العلم الذي يسعى إلى تحديد من يتكلم، ولتحديد أي نوعية من أي لغة، ومتى وحول أي موضوع، ومع أي المتكلمين؟ وفي حقيقة الأمر نجد أن هذا التعريف يتصف بدقته وتركيزه على قضايا مثل مميزات المنوعات اللغوية ضمن المجموعة اللغوية، والأمر الذي يساهم في تحديد وتعيين مجموعة التنوعات الاجتماعية والثقافية التي تمخضت عنها تلك المميزات والسمات اللغوية.

ويذهب هودسون بأن علم الاجتماع اللغوي :هو دراسة المجتمع في علاقته باللغة برمتها، وهو ما يعد مجالاً مهمّاً للدراسة من منظور علم الاجتماع؛ لأنه يثير قضايا مثل أثر تعدد اللغات على النمو الاقتصادي، وما يمكن أن تتبناه الحكومات من سياسات لغوية.

وعليه فعلم الاجتماع اللغوي" :هو العلم الذي يحاول الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، وبيان أثر تلك الحياة في الظواهر اللغوية المختلفة .أو "هو فرع من فروع علم الاجتماع العام الذي يهتم بدراسة أثر المجتمع ونظمه على الظواهر اللغوية المختلفة، باعتبارها نتاج العلاقات الاجتماعية. كما يسعى إلى توضيح أثر التفاوت الطبقي على البنية اللغوية وتباينها لدى فئات اجتماعية معينة، بالاعتماد على الأسس النظرية والمنهجية لعلم الاجتماع العام"، **وهو أيضاً هو التخصص (علم الاجتماع اللغوي)** الذي يختبر التفاعل بين مظهرين من مظاهر السلوك الإنساني هما: استعمال اللغة والتركيب الاجتماعي للسلوك اللغوي، حيث لا يقتصر ذلك الترتيب على استعمال اللغة في حد ذاته، ولكن يشمل أيضاً المواقف تجاه اللغة، والسلوكيات الصريحة تجاه اللغة وتجاه الناطقين بها.

أمّا: **(علم اللغة الاجتماعي) Sociolinguistics** وهو العلم الذي يدرس اللغة في علاقاتها بالمجتمع، وينتظم كل جوانب اللغة وطرائق استعمالها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية.

ثالثا : نشأة علم الاجتماع اللغوي

يُعد علم الاجتماع اللغوي فرعًا حديثًا نسبيًا من فروع العلوم الاجتماعية، نشأ في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .لكن يمكننا القول أن جذوره تعود إلى أفكار وفلسفات سابقة، مثل:

1. أفكار ابن خلدون: في القرن الرابع عشر، ناقش ابن خلدون في مقدمته أفكارًا حول العلاقة بين اللغة والمجتمع، مثل تأثير العوامل الاجتماعية على اللغة، وتغير اللغة مع مرور الوقت، والترابط بين اللغة والثقافة.

و إذا كان ابن خلدون قد وضع قواعد علم الاجتماع العام، فإنه في الحقيقة – بذلك العمل – قد مهد الطريق لاختصاصات عديدة في هذا العلم، و من الأبحاث الهامة التي تناولها، الأبحاث اللسانية، ذلك أنه يعتبر اللغة من العناصر الهامة في العصبية، كما أنها أهم مظهر من مظاهر العمران البشري.

علم الاجتماع اللغوي socio linguistics **فرع من اللسانيات يختص بدراسة اللغة كظاهرة اجتماعية، إنه كما يقول (ترودجل) يدرس مجال الـ و مجال المجتمع و الروابط الوثيقة التي تربطه بالعلوم الاجتماعية بعامة [14] ، و دراسة علاقة اللغة بالمجتمع دراسة علمية مجال حديث العهد نسبيا إذ ينتمي إلى فترة الستينات من القرن الماضي وو جد اهتماما واسعا في الغرب في هذه الفترة ، و ألقيت عليه مهام محددة في الكشف عن طبيعة العلاقة بين اللغة و المجتمع ، و لكن الراصد لتطور العلوم عند العرب و ماله صلة باللغة يجد أن ثمة تراث قديم**

العهد في الدراسات اللهجية ، و علاقة اللغة بالثقافة ، وظاهرة اللحن .. و هي كلها مواضيع لها علاقة بعلم الاجتماع اللغوي .

2. الفلسفة الاجتماعية في القرن الثامن عشر: طرح فلاسفة مثل يوهان فوكس وهردر وجينز أسئلة حول العلاقة بين اللغة والشعب الذي يتكلمها، وكيف تؤثر اللغة على الفكر والسلوك.

3. علم اللغة التاريخي المقارن: في القرن التاسع عشر، ساعد هذا العلم في فهم التطور اللغوي والتغيرات التي تحدث في اللغة عبر الزمن، مما أثار اهتمامًا أكبر بالعوامل الاجتماعية التي تؤثر على اللغة.

4. علم الاجتماع: مع تطور علم الاجتماع كعلم مستقل، بدأ علماء الاجتماع في دراسة العلاقة بين اللغة والمجتمع، مثل تأثير الطبقة الاجتماعية والعرق والنوع على استخدام اللغة. وعليه ففي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ظهرت دراسات ركزت بشكل خاص على العلاقة بين اللغة والمجتمع، مثل دراسات ويليام لابوف حول التباين اللغوي في مدينة نيويورك. **وجوشوا فيشمان** :ركز على دراسة التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية، وله مساهمات كبيرة في فهم دور اللغة في المجتمع.

وديل هايمز :ركز على دراسة التفاعل اللغوي والسياق الاجتماعي، وله مساهمات كبيرة في فهم كيفية استخدام اللغة في التواصل.

رابعا : مجالات علم الاجتماع اللغوي

علم الاجتماع اللغوي هو علم يدرس العلاقة بين اللغة والمجتمع .يهتم هذا العلم بكيفية تأثير العوامل الاجتماعية على اللغة، وكيفية استخدام اللغة في مختلف السياقات الاجتماعية.

وعليه فمجالاته هي:

- **علم اللغة الاجتماعي** :يدرس تأثير المجتمع على اللغة، مثل تأثير الطبقة الاجتماعية والعرق والنوع على استخدام اللغة.

- **علم النفس الاجتماعي للغة** :يدرس تأثير اللغة على التفاعل الاجتماعي، وكيف تُستخدم اللغة للتعبير عن الهوية والمكانة الاجتماعية.

علم الاجتماع اللغوي التطبيقي :يدرس تطبيقات علم الاجتماع اللغوي في مجالات مثل التعليم والسياسة اللغوية.

علم اللغة الأنثروبولوجي :يدرس العلاقة بين اللغة والثقافة، وكيف تُستخدم اللغة في مختلف الممارسات الثقافية.

- **التحليل اللغوي للمحادثة** :يدرس كيفية استخدام اللغة في التفاعل بين الأشخاص، وكيف تُستخدم اللغة لبناء العلاقات الاجتماعية.

- **دراسات الخطاب** :تدرس كيفية استخدام اللغة في مختلف أنواع النصوص، مثل النصوص الأدبية والإعلامية والسياسية.

علم اللغويات العرقية :يدرس العلاقة بين اللغة والعرق، وكيف تُستخدم اللغة في بناء الهوية العرقية.

خامسا : اتجاهات علم الاجتماع اللغوي

يعد علم الاجتماع اللغوي علمًا متطورًا سريعًا، وله العديد من الاتجاهات الحديثة:

1. التركيز على اللغة والتفاعل: يُركز هذا الاتجاه على كيفية تأثير اللغة على التفاعل الاجتماعي، وكيف يُستخدم التفاعل الاجتماعي لتشكيل اللغة. يُستخدم هذا الاتجاه في دراسة مواضيع **مثل: تحليل الخطاب/ علم النفس الاجتماعي للغة / علم اللغة التداولي**

2. التركيز على اللغة والهوية: يُركز هذا الاتجاه على كيفية استخدام اللغة لبناء الهوية الشخصية والجماعية. يُستخدم هذا الاتجاه في دراسة مواضيع **مثل: علم اللغة الأنثروبولوجي/ دراسات اللغة والعرق**

3. التركيز على اللغة والسلطة: يُركز هذا الاتجاه على كيفية استخدام اللغة للحفاظ على السلطة أو لتغييرها.

يُستخدم هذا الاتجاه في دراسة مواضيع **مثل: تحليل الخطاب النقدي/ علم اللغة الاجتماعي النقدي/ دراسات اللغة والقانون**

4. التركيز على اللغة والتكنولوجيا: يُركز هذا الاتجاه على كيفية تأثير التكنولوجيا على اللغة، وكيف تُستخدم اللغة في التكنولوجيا. يُستخدم هذا الاتجاه في دراسة مواضيع **مثل: علم اللغة الحاسوبي/ علم اللغة الاجتماعي للإنترنت/ دراسات اللغة والتواصل الرقمي**

5. التركيز على اللغة والتنوع: يُركز هذا الاتجاه على كيفية تأثير التنوع اللغوي على المجتمع، وكيف يمكن إدارة التنوع اللغوي بشكل فعال. يُستخدم هذا الاتجاه في دراسة مواضيع **مثل**: **علم اللغة الاجتماعي/ التخطيط اللغوي/ دراسات اللغة والتعليم**

الهوامش

1- أليس كوراني :**اللغة والمجتمع عند العرب (الجاحظ نموذجاً)**، ط1،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات ،والنشر والتوزيع، بيروت، ، 2013، ص ص.(8-7).
2- هادي النهر :**علم اللغة الاجتماعي عند العرب**، ، ط1الجامعة المستنصرية، بغداد ، 1988، ص ص -18) 19).
3- ينظر: رمضان عبد التواب، **مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، ، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة،1997،ص 125.
4- علي عبد الواحد وافي :**علم اللغة**، ط9،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص.(13).
5- Bernard Spolsk: socioguistics, Oxford University Press, First Published, 1998, p3 :.